

الباب الأول

الفصل الأول

ملاحم الجندية في الإسلام

الجندية في الإسلام تتميز بملاح لا توجد في غيرها، ولا يشاركها فيها جيش من الجيوش مهما كانت قدراته وخصائصه، وتلك الملاح تبرز أشد ما تكون وضوحا في حالة الجيش النفسية وروحه المعنوية ذلك لأن الجيش الإسلامي يستمد قوته دائما من الله - عز وجل - لا من السلاح الذي يملكه، ولا من التدريب الذي يتقنه، ولا من العدد الذي يتكون منه.

إن الميزة الأولى للجيش الإسلامي هي حسن صلته بالله وعظيم توكله عليه. فالجيش الإسلامي لم يكن يوما ما أكثر عددا من عدوه، ولا أقوى عدة من خصمه، ولا أحسن تدريبا ممن يتربصون به، ومع ذلك كان يحقق انتصارات مذهلة، فكيف ذلك؟

إن أحدا من الناس مهما بلغ حقه لا يستطيع أن يقول: إن ذلك كان محض مصادفة لأن المصادفة لا تتكرر دائما، وإلا لم تكن مصادفة، ولا يستطيع أحد أن يقول إن الجيش الإسلامي حقق تلك الانتصارات بأسباب مادية في مقدور أي جيش أن يحقق مثل هذه الانتصارات إذا استحوذ عليها، لأن الجيش الإسلامي لم يملك قط من الأسباب المادية ما يجعله متفوقا بها على غيره.

تلك حقيقة لا يختلف فيها اثنان لأن الواقع التاريخي، والأحداث المواقبة له شاهدان عدلان في مثل تلك المواقف.

ونحن نسأل الذين يدعون ذلك أي معركة تلك التي كان الجيش الإسلامي متفوقا فيها على غيره؟

ونريد منهم أن يذكروا لنا معركة واحدة ، وحينئذ نسلم لهم بما يدعون .
إن الجيش الإسلامي حتى يوم كان يقاتل في الجزيرة العربية ، ولم يخرج بعد منها
كان في أغلب المعارك على الثلث من جيش عدوه ، ففي غزوة بدر كان عدده
ثلاثمائة وتزيد قليلا ، وكان يواجه ألفا من المشركين وفي غزوة أحد كان قوامه
سبعمائة مقاتل وتصدى لثلاثة آلاف وفي غزوة الأحزاب كان المسلمون ثلاثة
آلاف يواجهون عشرة آلاف وهكذا في كل المعارك التي خاضها ضد أعدائه .

ولما كثر عددهم في غزوة حنين ، واعتمدوا على كثرتهم ، وظنوا أنهم لن
يهمزوا لو فرتهم كانت الهزيمة ، وكان التولى ، وتركوا رسول الله ﷺ في الميدان
ومعه قلة من أصحابه ، وعلى يد هذه القلة جاء نصر الله .

وكان ما كان في غزوة حنين ليعلم المسلمين أن قوتهم ليست في كثرتهم
وأن اعتمادهم على الكثرة سيؤدي بهم لا محالة إلى الهزيمة والخذلان ، فعليهم أن
يحسنوا صلتهم بالله ، وألا يعتمدوا على سواه حتى يتحقق لهم النصر على
أعدائهم .

إن حسن الصلة بالله - عز وجل - يعطى الجيش قوة معنوية لا يقدرها
إلا الذين يعيشون في هذا المجال الرباني الكريم ، إن الله قوى لا يغلبه غالب ، عزيز
لا تقهره قوة ، وحسن الصلة به يدخل المؤمنين في دائرة العزة والغلبة ، فيشملهم
الله بعنايته ، ويكلوهم برعايته ، فلا تتغلب عليهم قوة ، ولا ينتصر عليهم عدو ،
وذلك هو ما كان بالنسبة للمسلمين في معاركهم مع عدو الله وعدوهم .

إن المسلمين وهم يقاتلون أعداءهم ، لا يقاتلونهم لغرض السيطرة عليهم
ولا يقاتلونهم لاستعبادهم واستدلالهم ، ولا يقاتلونهم لاستلاب أرزاقهم
واستغلال خيرات بلادهم ، إنما يقاتلونهم لإعلاء كلمة الله ونصرة دين الله ،
ونشر الدعوة في أرض الله ، لهذا كان الله - عز وجل - معهم وكان لزاما أن
ينتصروا على عدو الله وعدوهم .

وجميل التوكل على الله ، معناه التفويض والاستسلام لأمر الله ، والله
- تبارك وتعالى - لا يسلم من فوض أمره إليه ، ولا يخذل من استسلم له ، لأن

ذلك الفعل قبيح لا يليق بجلاله وكأله ، وهو - عز وجل - قد وعد المؤمنين به النصر ، ووعدته لا يتخلف ﴿١﴾ إنا لتنصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴿١﴾ .

على أنه ينبغي أن تنبه على أن حسن الصلة بالله وجميل التوكل عليه - سبحانه - يجب أن يكون صفة ملازمة للجيش في سلمه وحربه ، وحله وترحاله ، وليله ونهاره ، حتى يستأهل بذلك النصر ، أما أن يلجأ إلى ذلك عند الكرب ، وفي حالة إحاطة العدو به ، فذلك ليس شأن المؤمنين ، نعم ، إن اللجوء إلى الله في وقت الكرب مطلوب ، والتضرع إليه - جل شأنه - عند التوازل بما يقرب فرجه ، ولكن حسن الصلة به في الرخاء ، يجعل نصره أقرب ما يكون منك في الشدة ، والتوكل عليه - جل جلاله - في السراء يجعل عونه معك في الضراء .

وفي الحديث الشريف : « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » (٢) .

إن حسن صلتك بالله - تبارك وتعالى - وجميل توكلك عليه في وقت يسرك ورخائك ، دليل على مداومة ذكره ، ومداومة الذكر تقرب وتودد إلى الله يحبه ويرضاه من عباده ، بل هو - سبحانه - هو الذي أمرهم به ، وحثهم عليه .

قال - تبارك وتعالى - : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ (٣) .

ذلك لأن المسلم مادام يذكر الله ، فאלله - عز وجل - يذكره ولا ينساه ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ (٤) .

(١) سورة غافر : الآية ٥١ .

(٢) رواه ابن بشران في أماليه ورمز له السيوطي بدرجة حسن .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٤١ ، ٤٢ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

وبالطريقة نفسها التي تذكر الله بها يذكرك - جلا وعلا - يقول سبحانه - في الحديث القدسي : « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » (١) .

فالصلة بالله تجعل المرء دائما في كنف الله ، ومن كان في كنف الله لا يغلبه غالب ، ولا تهزمه قوة .

الميزة الثانية للجيش الإسلامي أن النصر معقود بلوائه ، فلا يهزم إلا بمعصية أو مخالفة ، لأن الله - تعالى - قد ضمن له النصر مادام في طاعة الله ، وهذا هو السر في الانتصارات المتوالية التي حققها المسلمون في الجزيرة العربية وخارجها ، ولهذا لما تأخر النصر في إحدى المعارك كتب عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إلى الجيش يأمره بالاستغفار والتوبة ، ويطلب من الجنود الإقلاع عن المعاصي وقال : « إنني أخاف عليكم من ذنوبكم أكثر مما أخاف عليكم من عدوكم » .

ذلك لأن العدو مهما كانت قوته وكثرته ، ومهما كان عدده وعتاده فإنه لن يغلب الله - سبحانه - ولأن العدو حينما يحارب المسلمين إنما يحارب جند الله ، وجند الله هم الغالبون .

وأما الذنوب فإنها تبعد الجيش عن ساحة نصر الله ، وتدنيه من الهزيمة لأننا إنما نتصر بالطاعة ، فإذا ارتكبت المعاصي لم يكن هناك فرق بين المسلمين وغيرهم ، وكان للعدو فضل الكثرة في العدد والقوة في التدريب ، و التفوق في العتاد ، فلا بد أن تكون الغلبة له ، لأننا والحالة هذه قد تخلفنا عن أسباب نصرنا .

إننا نحن المسلمين نعتقد أن النصر من عند الله ، يمنحه من يشاء من عباده المؤمنين ، وما علينا إلا أن نتخذ الأسباب المؤدية إليه ، لأن ترك الأسباب تفريط

(١) رواه الشيخان .

نهى عنه الإسلام ، وتواكل لا يليق بالمؤمنين الواعين ، ألم تر إلى ذلك الأعرابي الذى جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ، ناقتى بالباب أتركها وأتوكل ، فقال الرسول ﷺ : « اعقلها وتوكل » (١) .

والحديث وإن قيل بضعفه إلا أن له شواهد كثيرة تقويه كقول الصحابة للرسول ﷺ مادام الله قد كتب علينا كل شيء فقيم العمل ؟ فقال ﷺ : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » (٢) .

وقول الله - تبارك وتعالى - لمريم وهى نفساء : ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً ﴾ (٣) .

فقد أمرها الله - سبحانه - باتخاذ الأسباب ليسقط عليها الرطب فتأكل وذلك يكون بهز الشجرة ، وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

توكل على الرحمن فى الأمر كله ولا تقعدن بالعجز يوماً عن الطلب
ألم تر أن الله أوحى لمريم وهزى إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه جنته ولكن كل شيء له سبب

فاتخاذ الأسباب ضرورى فى الإسلام ، ونحن مطالبون به ، فمن قعد ولم يتخذ الأسباب فهو مخالف مخالفته صريحة لتعاليم الإسلام .

ولهذا كان عمر - رضى الله عنه - ينهى المسلمين عن التواكل بقوله : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقنى ، وهو يعلم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » .

ولما زعم بعض الناس أن التوكل وترك الأسباب ليس مخالفاً لتوجيهات الإسلام ، واستدلوا على ذلك بقول الرسول ﷺ : « لو أنكم توكلون على الله - تعالى - حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً ، وتروح بطاناً » (٤)

(١) رواه الترمذى ورمز له السيوطى بالضعف .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٣) سورة مريم : الآية ٢٥ .

(٤) رواه أحمد فى المسند .

رد عليهم ذلك الفهم السقيم بما جاء في الحديث نفسه من قوله ﷺ « تغدو خماسا وتروح بطانا » ولا شك أن غدوها ورواحها سعى في طلب الرزق ولو لم تغد وتروح ، وبقيت في عشيها لما امتلأت بطونها .

فاتخاذ الأسباب أمر تحتّمه شريعتنا ، وعلى المسلمين القادرين أن يلتزموا به ، ف شراء الأسلحة واستحداثها ، والتدريب عليها واستعمالها شيء ضرورى للجندى المسلم ، وقد أمر به الله - سبحانه وتعالى - في قوله الكريم : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ﴾ (١) .

ولكن لا ينبغي أن يعتمد المسلمون على ذلك ، ولا يجوز أن يعتقدوا أن هذه الأسباب هى تجلب النصر أو تدفع الهزيمة ؛ بل يجب أن يؤمنوا بأن النصر من عند الله وأن هذه وسائل وأسباب قد يأتى معها النصر وقد لا يأتى .

ولكى يثبت القرآن هذا المعنى فى قلوب المؤمنين قال - تعالى - بعدما أمر بالاستعداد ، واتخاذ القوة : ﴿ ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (١) .

فهذه الأسلحة ، وذلك التدريب للإرهاب لا لجلب النصر ، وحتى الملائكة الذين نزلوا للقتال مع المسلمين فى غزوة بدر لم يجلبوا نصرا ولم يردوا هزيمة ، ولكن كان نزولهم بشرى للمؤمنين ورفعاً لمعنوياتهم قال - تعالى - : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله إلا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ (٢) .

ولعل القارئ الكريم يلاحظ أنى كررت هذا المعنى فى أكثر من موضع بل فى أكثر من كتاب (٣) لأنه أمر مهم يجب أن يفهمه المسلمون ، ولا يجوز أن يغيب عن أذهانهم لحظة من اللحظات .

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٩ ، ١٠ .

(٣) مثل كتاب هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه ، والقيادة والجنديّة القسم الأول وغيرهما .

وإننى أعتقد أن غياب هذا المعنى عن قلوب المسلمين هو الذى ألقى
الرعب فى قلوبهم من أعدائهم ، بل هو الذى أذلهم فى بلادهم ، وجعلهم نهباً
وفريسة لأوهمهم .

إن المسلمين إذا آمنوا بتلك الحقيقة ، وأعدوا ما يستطيعونه لعدوهم ثم
اعتمدوا على الله فى حربهم ، لابد أن يحقق الله لهم وعده ، وهو - سبحانه -
لا يخلف الميعاد .

ترى كم فى الإيمان بذلك المعنى من دوافع تجعل المسلمين لا يرهبون عدوا ،
ولا يخافون من الحرب ؟ وكم فى الإيمان به من قوى معنوية تجعل المسلمين أكثر
ثقة بأنفسهم ، وأشد اطمئناناً للنتائج ؟ .

على أنه لا يكفى الإيمان النظرى بتلك الحقيقة ، بل يجب أن يتحول ذلك
الإيمان النظرى فى صدور المؤمنين إلى تطبيق عملى يقتحمون به المعارك ، ويردون
به اعتداء المعتدين .

إن سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين - كانوا يقدمون على مواجهة
أعدائهم وهم مؤمنون بنصر الله أشد من إيمانهم بوجودهم ، فكانوا لا يشكون فى
ذلك لحظة ، ولا يسمحون للشك مهما قويت أسبابه بالتسرب إلى نفوسهم ،
وهذا الإيمان هو الذى جعلهم لا يرهبون عدوا ، بل هو الذى دفعهم إلى أن
يسيروا لمواجهة عدوهم فى بلاده دون أن يفكروا فى الهزيمة أو يرد ذكر الهزيمة على
ألسنتهم .

ولعل الحوار الذى كان يدور بين المسلمين وبين أعدائهم يؤكد لنا ذلك
المعنى ، ويصور لنا مقدار اليقين الذى كان فى قلوب المؤمنين ، وسأعيد صورا
من هذه الحوادث ليلمس القارئ كم كانت درجة هذا اليقين فى قلوب المسلمين .
فى معركة القادسية لما اضطر رستم قائد الفرس الأعظم إلى مواجهة نزل
بكوئى - مكان قريب من الحيرة - فجىء له برجل من العرب .

سأل رستم العربى فقال : ما جاء بكم وماذا تطلبون ؟

وأجاب العربى - المسلم - فقال : جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أتيتم أن تسلموا .

قال رستم : فإن قتلتم قبل ذلك ! .

قال المسلم : من قتل منا دخل الجنة ، ومن بقى منا أنجزه الله ما وعده ، فنحن على يقين .

قال رستم : قد وضعنا إذن في أيديكم ! .

قال المسلم : أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها ، فلا يغرنك من ترى حولك ، فإنك لست تحاول الإنس ، إنما تحاول القدر .

وهنا ضرب رستم عنق المسلم^(١) .

وتلك حيلة المفلس المذعور ، إن قتل ذلك المسلم لن يؤثر في جيش المسلمين ، ولن يرهبهم ، وأغلب الظن أن رستم قتل ذلك المسلم لما وجد في حديثه من الصدق والإيمان ، فخاف أن يرهب جنوده ، ويدب فيهم الوهن فلا يستطيعون لقاء المسلمين ، فقتله آملاً أن يحول بين هذا الحديث المملوء بالثقة واليقين بنصر الله وبين آذان جنوده محاولاً بذلك أن يرفع من معنويات جنوده بإظهار قوته وعدم ميالاته ولكن هيهات .

تلك صورة من صور عديدة تؤكد إيمان المسلمين بنصر الله لهم على عدوهم ، وهم بهذا الإيمان كانوا يحرزون النصر ، وبه كانوا لا يرهبون الموت ، وكانوا لا يخشون في الله لومة لائم .

الميزة الثالثة أن الجندى المسلم يقاتل لنشر الدعوة ، وإقامة العدل ومحو الظلم والطغيان ، وتلك خصيصة لم تعرف قبل الجيش الإسلامى ولا بعده على مدى التاريخ .

فهمة الجنود المسلمين هي الدعوة إلى الله فمن قبلها قبلوا منه وتركوه

(١) ابن الأثير : ٤٥٩/٢ .

وبلاده ورجاله وأمواله ، ومن رفضها وأصر على أن يظل على دينه ، فعليه أن يظهر ولاءه وعدم عداوته لهذا الدين بدفع مبلغ رمزي من المال يعلن به حسن نيته وعدم معارضته ، فإن أفى فليس هناك معنى لهذا الإباء إلا العداوة المعلنة للحق وأهله ، وليس لأمثال هؤلاء علاج إلا السيف ، فهذه الرعوس التي صدعها الشرك ، وتلك الأدمغة التي أفسدها الكفر ليس لها إلا أن تستريح من هذا الصداع ، وصدق الشاعر حين يقول :

وسيفى كان في الهيجا طيبيا يداوى رأس من يشكو الصداعا

إن الجيش الإسلامي لم يفتح البلاد من أجل خيراتها ، ولم يرغب في استغلال ثرواتها أو استعباد أبنائها ، وإنما خاض المعارك وتحمل المشقات ، وبذل الأرواح والأموال من أجل هداية الناس وسعادتهم .

ونحن لم نسمع قط عن أمة جهزت جيشا ، وأنفقت عليه من حر أموالها ، وجندت فيه خيرة شبابها ، وأمرت عليه الأفذاذ من قوادها لترغم الناس به على قبول سعادتهم ، وتدلهم على سبل الخير والهداية في حياتهم وآخرتهم .

إن أقصى ما يفعله المصلحون هو بذل النصيحة ، وتقديم الخير للناس عن طريقها ، وهم بذلك يكونون قد أعذروا ، وأدوا ما عليهم نحو أممهم وشعوبهم ، وهم بهذا القدر يدخلون التاريخ من أوسع أبوابه ، وينالون جزاء هذا البذل ثناء الناس العاطر ، وشكرهم الجزيل .

فماذا إذن يكون جزاء هؤلاء الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم وخرجوا من ديارهم وأبنائهم يحملون للناس الخير ، ويهدون لهم السعادة والهناء؟؟

إن الإنسان ليعجب أشد العجب من رجل يدعو الناس إلى الخير حينما يراه يتفطر قلبه لعدم استجابتهم ، ويسيل دمه لشرودهم وإبائهم ، فكيف يكون الحال حينما يرى رجلا يندفع إلى الموت لينقذ غيره ؟

تلك هي حقيقة الأمر للجنود المسلمين ، كان الرجل يخرج بنفسه ، ويحمل ماله ، ويهجر أهله وعياله ، ليدعو الناس إلى الحق والخير اللذين آمن بهما ، ويبلغ الأمر إلى حد القتال والموت لخرضه على إدخال الناس في دين الله ،

لقد كانت تكفيه الكلمة ، حين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويكون قد أدى واجبه نحو دينه .

نعم لقد كان يكفيه أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر إذا لم يكن هناك طواغيت يصدون الناس عن الدين الحق ، ويصرفونهم عن متابعة الهدى ، أما وقد وجد الطواغيت ، ووقفوا للدعوة بالمرصاد ، وحالوا بين الناس وبين النظر فيها ، وحملوا السلاح دفاعا عن الباطل الذى اعتنقوه لم يكن هناك بد من القتال ، لأن الكلمة الطيبة لا تجد مكانها بين قعقة السيوف وفرقة البارود ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يغنى شيئا فى زحمة الميدان ، وتزاحم المقاتلين .

وفى مثل هذه الظروف يشعر الجندى المسلم بثقل التبعة ، وضخامة المسؤولية ، فيحمل سلاحه ، ويسرع إلى الميدان ، ويخوض المعارك ليمهد الطريق ويزيل الطواغيت ، ويمنح العقل البشرى حرية التفكير فى هذا الدين الجديد حتى يدخل فيه عن بينة أو ينصرف عن سفاهة وحمق .

إن المسلمين لم يحاربوا قط لاحتلال الأرض ، ولا للسعى على الرزق ، ولا لاستعباد الناس^(١) وإنما كانوا يحاربون ، ويتحملون المصاعب والمشقات من أجل إسعاد الناس وإدخالهم فى الخير الذى دخلوه ، وشعروا بقيمته ، وأدركوا حرمان الناس منه لعدم فهمهم له .

لم يكن المسلمون أنانيين يحبون الخير لأنفسهم ، ويكرهونه لغيرهم وإنما كانوا حريصين على أن يعم ذلك الخير كل الناس ، فلا يحرم منه أحد وكان عليهم لتحقيق ذلك أن يعرضوا دينهم على الناس فإن قبلوه وإلا فليحملوا عليه حملا ولو أدى ذلك إلى الاشتباك المسلح .

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فالجرب أجدى على الدنيا من السلم ومثلهم فى ذلك كمثل الطبيب الماهر الذى وضع المريض أمانة بين يديه ، ولم ير له علاجا إلا ببتير عضو من أعضائه ، فماذا تروونه صانعا ؟ .

(١) يراجع ذلك بالتفصيل فى كتابنا (هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه) .

هل تأخذه الشفقة على المريض فيدعه دون أن يتر ذلك العضو الذى سيؤدى إلى موته وهلاكه ؟ فهو إذن غير أمين .

أم يخشى عليه من التشويه ، ويتغاضى عما به من الآلام ، وتكون النتيجة الحتمية هى الموت والهلاك ؟ فهو إذن قاتل أثيم .

لابد حيثئذ من البتر مهما تألم المريض ، ولابد من الاستئصال مهما تشوه ، لأن الألم سيعقبه راحة وهدوء ، والتشويه سيعقبه راحة وهدوء ولا شك أن المريض نفسه يتشوق إلى الراحة والهدوء وإن لم يعرف طريقهما ويأمل فى الحياة وطول البقاء وإن جهل أسبابهما .

ولأشك كذلك أن المريض سيكره على ذلك إكراها ، وقد يتقبله مرغما حتى إذا ما استرد صحته ، ونعم بالراحة والهدوء سيحمد للطبيب ما فعل وسيعترف بجهله وحقه حين كان يصبر على عدم البتر ، ورفض العلاج .

هذا هو مثل المسلمين وهم يحملون الناس حملا على الدخول فى الإسلام فهل تراهم يريدون بهم إلا الخير ، أو يكونون لهم إلا الحب والإصلاح ؟ .

وليحكم التاريخ بيننا وبين أولئك الذين يزعمون أننا نحارب من أجل السيطرة والتسلط ، أو نقاتل من أجل إجبار الناس وإكراههم على الدخول فى الإسلام .

هذا حوار يرويه الثقات من المؤرخين دار بين رستم أعظم رجال الفرس بعد كسرى ، وبين أحد قواد المسلمين - زهرة بن الحوية - يسأل رستم زهرة فيقول : أرأيت إن أجبت إلى هذا - يعنى الإسلام - ومعنى قومى ، كيف يكون أمركم ؟ أترجعون ؟ .

ويجيب زهرة : إى والله .

فيقول رستم : صدقتنى^(١) .

(١) الكانل لابن الأثير : ٤٦٢/٢

وصورة أخرى لحوار دار بين رستم نفسه وبين ذوى الرأى من المسلمين ، وقد أرسلهم سعد بن أبى وقاص قائد المسلمين ليحاجوه لعلمهم يقنعونه بالإسلام ، فلما دخلوا عليه قالوا له : إن أميرنا يدعوك إلى ما هو خير لنا ولك ، العافية أن تقبل ما دعاك إليه ، ونرجع إلى أرضنا وترجع إلى أرضك ، وداركم لكم ، وأمركم فيكم ، وما أصبتم كان زيادة لكم دوننا ، وكنا عوناً لكم على أحد إن أرادكم ، فائق الله ، ولا يكونن هلاك قومك على يدك ، وليس بينك وبين أن تغبط بهذا الأمر إلا أن تدخل فيه ، وتطرد به الشيطان عنك^(١) .

وفى كلا الحوارين نجد أن المسلمين مستعدون للعودة إلى بلادهم إذا دخل القوم فى دين الله ، ونرى أكثر من ذلك ، نرى أن رستم نفسه يصدق هذا القول ولا يكذبه ، وذلك دليل على أنه كان يعرف الغاية التى كان المسلمون يجاهدون من أجلها .

ونرى فى الحوار الآخر زيادة توضيح لمن لم يفهم الإشارة الأولى فالمسلمون فيه يقولون لرستم إذا قبلت ما دعوناك إليه رجعنا إلى بلادنا ، وترجع أنت كذلك إلى بلدك ، وتكون بلادكم لكم لا نشارككم فى حكمها ، ويكون أمركم فيكم لا ننتزع الحكم من أيديكم ، بل وأكثر من ذلك إذا اعتدى عليكم معتد كنا عوناً لكم عليه حتى نقهره .

فالمسلمون إذن لم يحاربوا للسيطرة وقهر الناس واستعبادهم ، ولم يحاربوا لاستغلال الخيرات وانتزاعها من أيدي أصحابها ، وإنما كان قتالهم من أجل هداية البشرية ، وإرغامها على قبول الخير الذى لم تدرك قيمته بسبب التضليل الذى خدعها به زعمائها وأولو الأمر من رجالها .

هذه هى أبرز ملامح الجندية الإسلامية ، وليست كل ملاحمها ، أردت بذكرها تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التى يكيد بها الأعداء للإسلام وبنيه ، حتى يحنرha المسلمون فلا ينخدعوا بها ، وخاصة وأنها تصدر عن رجال لهم حظوة

(١) نفسه ٤٦٦ - ٤٦٧ .

في المجتمعات ، ولهم منزلة علمية في الجامعات ، واسبحو في نظر الناس أصحاب الكلمة العليا في هذا المجال .

كذلك أردت بها التمهيد لما سيأتي بعد من الدراسة حتى يربط القارئ بين سر هذا التفوق ، وبين العوامل التي كانت تصحبه دائما من استقرار النفوس ، واطمئنان السكان ، وإقامة العدل ، والمساواة بين جميع الناس على حد سواء .
إننا إذا أدركنا مدى صلة الجيش بربه ، وجميل توكله عليه أدركنا على الفور سر الانتصارات المذهلة التي أحرزها المسلمون ، لأن الجيش حينئذ يكون متصلا بمصدر إمداداته ، معتمدا على قوة لا تغلب .

وإذا علمنا أن المعاصي هي السر في هزيمة الجيش ، ورأينا أن المسلمين كانوا في انتصارات متوالية عرفنا أنهم كانوا بعيدين عن كل ما يغضب الله وهذا هو السر في استقرار النفوس ، واطمئنان السكان إلى الجنود الفاتحين لأن اضطهاد الناس يسبب لهم قلقا نفسيا خطيرا ، وظلم السكان يحدث لهم اضطرابا شديدا ، وهذا مما يغضب الله لهذا يتعد عنه المسلمون .

وإذا كانت الفتوحات لنشر الدعوة وهداية الناس وإسعادهم أدركنا سر إقامة العدل والمساواة بين الأمم التي حكمتها الدولة الإسلامية لأن الدين قائم على العدل ، وهداية الناس تقتضي المساواة بينهم .

وهكذا ندرك عند الدراسة الواعية ما لم يدركه غيرنا لحرمانهم من هذا الفهم السليم .

